

تفسير البحر المحيط

@ 155 @ اللغة خرق الهوى ومقصده السفلى ، إذ مصيره إليه ، وإن لم يقصد إليه . وقال الشاعر :

هوى الدلو اسلمها الرشا .

ومنه : هوى العقاب . { صَا حَيْدُكُمْ } : هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، والخطاب لقريش : أي هو مهتد راشد ، وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغى . { وَمَا يَنْطِقُ } : أي الرسول عليه الصلاة والسلام ، { عَنِ الْهَوَى } : أي عن هوى نفسه ورأيه . { إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ } من عند الله ، { يُوحَى } إليه . وقيل : { وَمَا يَنْطِقُ } : أي القرآن ، عن هوى وشهوة ، كقوله : { هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عِلْمًا لَكُم }

بِالْحَقِّ } . { إِنَّ هُوَ } : أي الذي ينطق به . أو { إِنَّ هُوَ } : أي القرآن . { عِلْمًا مَّهِ } : الضمير عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم) ، فالمفعول الثاني محذوف ، أي علمه الوحي . أو على القرآن ، فالمفعول الأول محذوف ، أي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم . { شَدِيدُ الْقُوَى } : هو جبريل ، وهو مناسب للأوصاف التي بعده ، وقاله ابن عباس وقتادة والربيع . وقال الحسن : { شَدِيدُ الْقُوَى } : هو الله تعالى ، وهو بعيد . { ذُو مِرَّةٍ } : ذو قوة ، ومنه لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مرة سوى . وقيل : ذو هيئة حسنة . وقيل : هو جسم طويل حسن . ولا يناسب هذان القولان إلا إذا كان شديد القوى هو جبريل عليه السلام . { فَاسْتَوَى } : الضمير في قوله الحسن ، وكذا { وَهَوَى } بِالْأَفْئِدَةِ الْعَلَى } تعالى ، على معنى العظمة والقدرة والسلطان . وعلى قول الجمهور : { فَاسْتَوَى } : أي جبريل في الجو ، { وَهَوَى بِالْأَفْئِدَةِ الْعَلَى } ، إن رآه الرسول عليه الصلاة والسلام بحراء قد سد الأفق له ستمائة جناح ، وحينئذ دنا من محمد حتى كان قاب قوسين ، وكذلك هو المرئي في النزلة الأخرى بستمائة جناح عند السدرة ، قاله الربيع والزجاج . وقال الطبري : والفراء : المعنى فاستوى جبريل ؛ وقوله : { وَهَوَى } ، يعني محمداً صلى الله عليه وسلم) ، وفي هذا التأويل العطف على الضمير المرفوع من غير فصل ، وهو مذهب الكوفيين . وقد يقال : الضمير في استوى للرسول ، وهو لجبريل ، والأعلى لعنه الرأس وما جرى معه . وقال الحسن وقتادة : هو أفق مشرق الشمس .

وقال الزمخشري : { فَاسْتَوَى } : فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي ، وكان ينزل في صورة دحية ، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم) أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها ، فاستوى له بالأفق الأعلى ، وهو أفق الشمس

، فملاً الأفق . وقيل : ما رآه أحد من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم) ، مرة في الأرض ، ومرة في السماء . { ثُمَّ دَنَّا } من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، { فَتَدَلَّى } : فتعلق عليه في الهوى . وكان مقدار مسافة قربه منه مثل { قَابَ قَوْسَيْنِ } ، فحذفت هذه المضافات ، كما قال أبو علي في قوله : .
وقد جعلتني من خزيمة أصبعا .

أي : ذا مسافة مقدار أصبع ، { أَوْ أَدْنَى } على تقديركم ، كقوله : { أَوْ يَزِيدُونَ } . { إِلَيَّ عِيدُهُ } : أي إلى عبد الله ، وإن لم يجر لاسمه عز وجل ذكر ، لأنه لا يلبس ، كقوله : { مَا تَرَكَ عَلَيَّ ظَهْرَهُ } . { مَا أَوْحَى } : تفخيم للوحي الذي أوحى إليه قبل